اذا كان ستر عنه ما ينوبه ويضره له والذي يقع به من الكيد من الله تعالى فهو ستر ما ختم الله به عاقبته والذي
وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة بحيث جرى الامر على
غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه وسماه كيدا لما
يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على
خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله عز وجل ما كان لياخذ اخاه في دين الملك يعني في حكم
الملك وقضايه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف
من حبس اخيه عنده في حكم الملك فان الله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك الا ان
يشا الله يعني ان ذلك الامر كان بمشية الله تعالى وتدبيره لانه كله كان الهاما من الله تعالى ليوسف
واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد نرفع درجات من نشا يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي
هذه الاية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع
درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها وفوق كل ذي علم عليم قال ابن
عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فانه فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية
دليل على ان اخوة يوسف كانوا علما وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر
التواضع لربه تعالى ولا تطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى قالوا يعني اخوة
يوسف ان يسرق يعني بنيامين الصواع فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف فظاهر الاية يقتضي ان اخوة يوسف
قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان اخاه الذي هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام
انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى
غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان
لجده ابي امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان
يوسف جاءه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من الطير
الذي كان في بيت يعقوب فاعطاه سايلا وقال وهب كان يخبا الطعام من المايدة للفقرا وذكر محمد بن
اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا
فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لاخته يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر
على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي
اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها
بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحاق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير
لا يشعر ثم قالت فقدت منطقة اسحاق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم
لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال
اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة وكلها تشبه السرقة فعيروه بها عند
الغضب فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها في هاء الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة
التي بعدها وهي قوله تعالى قال يعني يوسف انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني
ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح
عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف الجواب اي الكلمة التي قالوا في حقه ولم يجبهم عليها

والثالث

والثالث الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على القول فاسر يوسف الاحتجاج اليهم في ادعايهم عليه السرقة
ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا معناه يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في
الحقيقة وخيانتكم حقيقة والله اعلم بما تصفون يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا يعني اخوة
يوسف يا ايها العزيز يخاطبون بذلك الملك ان له ابا شيخا كبيرا قال اصحاب السير والاخبار ان يوسف عليه
السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه ثم قال صواعي يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب
وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره
ثم قال ان صواعي قال كيف تسالني عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان
بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح القت كل
حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى
الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق
بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق
فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر حامل الا
وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى
هذا فمسه او خذ بيده فاتني به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا
احد فقال روبيل هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله
واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما
نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن
ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من اولاد الانبيا فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى
به عن اخيه الهالك انا نراك من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن
الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين قال
معاذ الله يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق
تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق انا اذا لظالمون يعني ان اخذت بريا بمذنب **فان قلت**
كيف استجاز يوسف ان مثل الاعمال هذه بابيه ولم يخبره بمكانه واجلس اخاه عنده مع علمه بشدة وجد ابيه
عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة
والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الاذى لهم فكيف يليق به هذا كله
قلت فقد ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك لامر
الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلا يعقوب فيضاعف له الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه
الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا فهو الذي اخفى خبر يوسف عن
يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة بينهما لما يريد ان يدبر فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما
استيايسوا منه يعني ايسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد اليهم وقال ابو
عبيدة استيايسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون
ليس فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكبير هو يهودا وكان اعقلهم
وقال مجاهد هو شمعون وكانت الرياسة له على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل كان

Copyright © King Saud University